الإمام ابن رشد الجدّ -رحمه اللّه- ومكانته العلمية

الباحث: فتحي بن سعيد لعطاوي

ملخص البحث باللغة العربية:

هذا المقال يتناول عَلَمًا من أعلام الإسلام، وإمامًا من أئِمّة المالكيَّة العِظام، وهو: **القاضي أبو الوليد محمّد بن أحمد بن رشد الجدّ القرطبي (ت520 هـ)** -رحمه الله تعالى-. ويرحل مع القاريء الكريم عبر الزمان ليواكب أهمّ محطّات حياته، ويكتشف أبرز مكنُونات سِيرتِه، ويُدرك علُوّ قدرِه، وسُمُو مكانتِه، وما حظي به من الثناء والتقدير في محافل العلماء ومجامع الفقهاء.

ملخص باللغة الأجنبية:

Cet article parle de l'un des savants de l'islam, et un des imams principal malékites, il est: le juge Abou El Walid Mohammed Ibn Ahmad Ibn Rochd (le grand père) El Qurtubi (décéd 520h) - qu'Allah l'agrée -.

Il remonte dans le temps avec le lecteur pour être au courant des plus importantes étapes de sa vie, et découvrir les aspects inconnus de sa vie privée, réalise sa magnitude et sa stature, et enfin la reconnaissance et le respect dont il jouissait auprès des grands savants.

إنّ العلماء الربّانيين هم ورثة الأنبياء، وصفوة الأولياء، ومثلهم في الأرض كمثل النجوم في السماء، فالحديث عن سيرِهم وأخبارِهم تُستعذب حلاوتُه، والكلام عن جلالة مكانِهم تجمُل معرفتُه، والتعريف بآثارِهم تشمل منفعتُه..

ولقد نبغ في بلاد الغرب الإسلامي العديد من الشخصيّات العلميّة، الذين أشرقت صفحات المصادر التاريخية بذكر أسماءها، وأشعّت دفّات كتب التراجم ببثّ مناقبها، ومن بين هذه الشخصيّات الفذّة التي تستحقّ أن يُعتنى بها، ويطّلع الدارسون على مكانتها: **القاضي الفقيه أبو الوليد محمّد بن أحمد بن رشد الجدّ (ت520 هـ)** -رحمه الله تعالى-.

◈ **اسمه ونسبه وكنيته**:

هو محمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن رشد[1]. ويُكنى: أبا الوليد[2].

وقد جرى عدد من أهل العلم على أن يُطلقوا على إمامنا - المترجم له - وصف: **"الجدّ"** أو**"الأكبر"** أو **"الفقيه"**، تمييزاً له عن ابن رشد **"الحفيد"** أو **"الأصغر"** أو **"الفيلسوف"** - وهو حفيده[3]، صاحب المصنّف الفقهي المشهور**"بداية المجتهد"** -، لأنّه كان يحمل نفس الاسم والكنية [4].

◈ **مولده**:

لقد كفانا الإمام ابن رشد الجدّ -رحمه الله- مُؤنَة البحث والتحرّي عن تاريخ مولده، وأجاب من سأله عن ذلك، فقال: (ولدت سنة (450هـ)) [5]. وهو يوافق سنة (1058م). وهذا ما تناقله أكثر المترجمين للإمام قديماً وحديثاً[6]. خلافا لما ذكره الإمام ابن فرحون -رحمه الله- في "الديباج المذهب" من أنّ ولادته كانت سنة (405هـ)، وهو خطأ ظاهر، وليس بعيدا أن يكون هذا الخطأ قد دخل من قبل النسّاخ أو تسرّب خلال الطبع، لأنّ التواريخ المذكورة

قريبة جدا من بعضها عند كتابتها بالحروف العربية هكذا: (خمسون وأربعمائة/خمس وأربعمائة). فلعلّ الواو والنون قد سقطت، والله أعلم.

وقد جزم الإمام ابن بشكوال -رحمه الله- [7] أنّ ذلك في شهر شوال من تلك السنة تحديدا[8].

ولم يختلفوا أنّ مكان ولادته مدينة **"قرطبة"**[9] حاضرة العلم، وحاضنة العلماء.

◈ **نشأته وتحصيله للعلم**:

لم تُسعفنا كتب التراجم بتفاصيل كثيرة حول نشأة الإمام ابن رشد، ومرحلة الطلب والتحصيل من حياته. ولكن ليس من قبيل الرجم بالغيب إن قلت: إنّه بدأ كغيره من الأطفال - في ذلك الزمان - بحفظ القرآن، فإنّ تحفيظ القرآن للولدان في تلك العصور كان يعدّ شعاراً من شعائر الدين، أخذ به المسلمون في جميع الأمصار ودرجوا عليه في مختلف الأقطار[10]. بالإضافة إلى الأخذ بمباديء العربية، وتجويد الخط والكتابة - على طريقة أهل الأندلس في المراحل الأولى للتعليم - [11].

وكان من نعم الله جلّ وعلا على الإمام ابن رشد، أن نبتت مواهبه في كَنَف والد عالمٍ فاضل، كان له فضلٌ في تعليمه، وضِلع في تكوينه، وهو يُعدّ أوّل شيوخه[12]، كما أنّ بلدته قرطبة كانت تعجّ بكبار العلماء وجلّة الفقهاء، وهذا ما ساعده على الاستمرار في الطلب، والتعمّق في الدراسة، وقد وجد فيها من الزاد معرفي، ما ساهم بشكل واضح في تكوينه العلمي، مع أنّه لا يُعرف له -رحمه الله- رحلة خارج الأندلس في طلب العلم.

وأمّا خارج قرطبة فقد ذكر مترجموه أنّ الشيخ أبو العباس العذري[13] قد أجاز له ما رواه، وهو من أهل المريّة[14]، ولم يُنقل عنه أنّه زار قرطبة، فإمّا أن يكون ابن رشد قد رحل إليه بنفسه، أو يكون قد كتب إليه بالإجازة.

ويزداد إجلالنا للإمام ابن رشد، وإكبارنا للجهد الذي بذله في المواظبة على التحصيل العلميّ، إذا استحضرنا أنّه عاصر في مرحلة شبابه التي يجري الحديث عنها، أوضاعا حرجة، وأحداثا كبيرة، ومتغيّرات كثيرة عرفتها بلاد الأندلس من مختلف المناحي[15]، إلاّ أنّ ذلك لم يُضعِف من عزيمته، ولم يُثنِه عن بُغيته.

◈ **شيوخه الذين تلقّى عنهم**:

المقام لا يسع للتعريف بجميع الشيوخ الذين تتلمذ ابن رشد على أيديهم، ونهل من علومهم[16]، ولذا سأكتفي بإشارات موجزة لأبرزهم[17]:

1 - والده الشيخ أحمد بن أحمد بن رشد -رحمه الله- [18]:

وقد وُصِف -رحمه الله تعالى- بأنّه كان"من أهل العلم والجلالة والعدالة" [19]، ولم أقف على معلومات حول تاريخ ولادته ولا وفاته بدقّة، إلاّ أنّ المترجمين له ذكروا أنّه كان على قيد الحياة سنة (482هـ)، ويلزم من هذا أنّ وفاته كانت يقينا بعد هذا التاريخ. وإذا عرفنا انّ الإمام ابن رشد ولد سنة (450هـ)، فهذا يعني أنّه عاش مع ابنه 32 سنة على أقلّ تقدير، أشرف فيها على تعليم ولده محمد ومتابعته وتوجيهه.

2 - الفقيه أبو جعفر أحمد بن محمد بن رزق -رحمه الله-[20]:

"وكان فقيهاً، حافظاً للرأي، مُقدَّماً فيه، ذاكراً للمسائل، بصيراً بالنوازل، عارفاً بالفتوى، صدراً فِيمَن يُستفتىَ، وكان مدار طلبة الفقه بقرطبة عليه في المناظرة، والمدارسة"[21].

ولد سنة (427هـ) بقرطبة، وكانت وفاته -رحمة الله عليه- في سنة (477هـ).

وعليه اعتمد الإمام ابن رشد في التفقّه[22]، بل يمكن أن نتصوّر أنّه أبرز من أثّر في تكوين شخصيّته العلمية، حيث يَلمَس جلياً كلّ من نظر في كتابه "المقدمات الممهّدات"، تعلُّق ابن رشد به وإجلاله له، فما أكثر ما ذكر من آرائه، وحفظ لنا من اختياراه في ثنايا الكتاب،

وهو خلال ذلك لا ينفكّ يدعو له ويترحّم عليه[23]. وقد صرّح في مطلعه أنّ طريقته في التدريس وعرض مسائل الفقه كانت تستهويه، ولهذا اقتفى أثره في ذلك مع مزيد توسّع[24].

3 - المحدّث أبو العباس أحمد بن عمر العذري المعروف بـ: بابن الدلائي -رحمه الله- [25]:

كان متخصّصا في الحديث وعلومه معتنياً "بنقله وروايته وضبطه مع ثقته وجلالة قدره وعلو إسناده"[26].

ولد سنة (393هـ)، وتوفّي - رحمة الله عليه - في آخر شعبان سنة (478هـ). وقد أطال الله تعالى في عمره "حتّى شارك الأصاغر فيه الأكابر"[27]، ولهذا تمكّن إمامنا ابن رشد من الظفر بإجازته له في مروياته[28].

4 - الإمام أبو مروان عبد الملك بن سراج -رحمه الله- [29]:

وكان -رحمه الله- واسع المعرفة، حافل الرواية، بحر علم، وانتهت الرئاسة إليه في اللّغة والأدب، وعُدّ من أعلم الناس - ببلاد الأندلس في عصره - بمعاني القرآن والحديث، وأقومهم بالأخبار، والأنساب، وأحفظهم للسان العرب.

ولد بقرطبة سنة (400هـ)، توفي -رحمه الله- ليلة عرفة سنة (489هـ).

وما من شك أنّ الإمام ابن رشد قد استفاد منه كثيراً، وأتقن على يديه اللّغة العربيّة، وسمع منه ضروب الآداب والأشعار، وتلقّى عنه التفسير والحديث، وقيّد ذلك كلّه عنه، فإنّ كتبه المطبوعة تدلّ بوضوح على تبحرّه في هذه العلوم، وإبداعه فيها.

فهؤلاء أبرز العلماء والمشايخ الذين كان الإمام ابن رشد يتردّد إليهم، ويثني الركب في مجالسهم، ويسمع منهم، ويقرأ عليهم في مختلف التخصّصات الشرعية، وقد ساهموا جميعا في شحذ زاده المعرفي، وأخذوا بيده في مدارج الفتوى، ورعوا نبتته حتّى برزت إلى السطح وأثمرت بتوفيق من الله تعالى.

◈ **بذله وعطاؤه العلمي**:

لمّا تفتّقت الإمكانات العلمية للإمام ابن رشد -رحمه الله-، واستوعب من المعارف ما رشّحه لإلقاء الدروس، ونشر العلم، نزل إلى ساحة البذل والعطاء. فأظهر في التدريس نشاطا، وقطع في التأليف أشواطا، وقُدِّم للفتوى[30]، ونال الحظوة والشهرة، وتوافد إليه الطلاّب من شتّى البلاد.

وفي سنة (511هـ) أُسنِد إليه قضاء قرطبة، فتولاّه وعمره 61 عاما [31]، "وسار فيه بأحسن سيرة، وأقوم طريقة"[32]، كما تولّى أيضاً إمامة المسجد الجامع بقرطبة، ومضت عليه أربعة أعوام - شغلته أمور المسلمين فيها عن التفرّغ للتأليف إلاّ قليلا -، فكان هذا من جملة الأعذار التي استعفى بسببها عن القضاء - كما يحكي هو عن نفسه[33] - فأعفي سنة (515هـ).

ومن ثمّ تفرّغ للتأليف، وانقطع للتعليم، وخَصَّص مجالس لإسماع كتبه[34]. غير أنّ هذا لم يكن يعني عنده الإنعزال التامّ عن أحوال وطنه، وهموم أهل بلده، بل كان -رحمه الله- ملاذ العامة والخاصة، يُعوِّلون عليه في المشكلات، ويرجعون إليه عند المُلمّات، وهو يجيب عن تساؤلاتهم المستعصية، ويحمل رغباتهم الملحّة، ويعبّر عن طموحاتهم المشروعة إلى أولياء الأمور، ولم يزل قوله نافذا في ذلك كلّه[35]، وكانت له في هذا السبيل مواقف مشهودة في ظروف جدّ عصيبة، سيأتي ذكر جملة منها - إن شاء الله تعالى -.

◈ **تلاميذه الذين أخذوا عنه**:

حقّق الإمام ابن رشد - بتوفيق من الله تعالى - نجاحاً ملموسا في ميدان التربية والتعليم، حيث تخرّج على يديه كثير من الطلاّب من مختلف البلاد، ممّن وصلوا - بعد ذلك - إلى مراكز الإمامة والإفتاء والقضاء والتدريس، ومن أبرز هؤلاء[36]:

1 - **ولده أبو القاسم أحمد بن محمد بن رشد -رحمه الله-** [37]:

ولد بقرطبة سنة (487هـ)، واعتنى به والده عناية تامّة، وربّاه تربية صالحة، وكان معلّمه الأوّل، ثمّ فسح له المجال للتوسّع في الدراسة والتحصيل، فتنقّل بين جلّة شيوخ الأندلس وسمع منهم، حتّى برع في علوم كثيرة من تفسير، وحديث، وفقه، وعربية. وولي القضاء بقرطبة سنة (532 هـ)، وهو في الخامسة والأربعين من عمره. وقد عُرِف -رحمه الله- بحسن السيرة، وكمال العقل، وتمام الفضل.

وكانت وفاته -رحمه الله- في شهر رمضان من سنة (563 هـ).

2 - الإمام أبو مروان عبد الملك بن مسرّة -رحمه الله- [38]:

ولد سنة(472هـ). وهو ممّن لازم الإمام ابن رشد واختصّ به، وروى عنه الكثير من كتبه. ولم يزل يترقّى في مدارج العلم حتّى غدا أحد مفاخر الأندلس، وعلا ذكره، وارتفع قدره، وأخذ الناس عنه. وقد ولي قضاء الجماعة بقرطبة أيضا، "وكان ممّن جمع الله له الحديث والفقه، مع الأدب البارع، والخطّ الحسن، والفضل والدين والورع، والتواضع والهدي الصالح"[39].

وتوفي -رحمه الله- لثمان بقين من رمضان من سنة (552هـ).

4 - الإمام أبوبكر محمد بن عبد الله بن الجدّ -رحمه الله- [40]:

ولد سنة (496هـ) واقتصر في بداية الطلب على العربية وبرع فيها، ثمّ مال إلى دراسة الفقه والحديث، فرحل إلى قرطبة وممّن جلس عنده هناك الإمام أبي الوليد بن رشد، الذي ناوله بعض كتبه، وحرّضه على التعمّق في دراسة الفقه، والإشراف على مسائل الاتّفاق والاختلاف، لما رأى من سداد فطرته، واتّقاد فطنته. وقد أخذ محمّد -رحمه الله- بنصيحة شيخه، فنفعه الله تعالى بها، وقُدِّم للشورى مع أكابر الفقهاء - وهو ابن خمس وعشرين سنة -، لغزارة حفظه، واتّساع مادة علمه. وقد تمادى به ذلك إلى أن انتهت إليه الرئاسة في الفتيا، وبلغ

المرتبة العليا في وقته، وأصبح "فقيه الأندلس وحافظ المغرب لمذهب مالك غير مدافع ولا منازع، لا يدانيه أحد في ذلك ولا يجاريه.. "[41].

وكانت وفاته –رحمه الله– في شوال سنة (586هـ).

3 - القاضي أبو الفضل عِيَاض بن موسى -رحمه الله- [42]:

ويعرف بـ: القاضي عياض. أصله من الأندلس، غير أنّ جدّه تحوّل إلى بلاد المغرب، ولد القاضي عياض في سنة (476هـ). وأخذ عن مشيختها، ثمّ قدم الأندلس طالباً للعلم سنة (508هـ)، واجتهد في التحصيل، ولقاء الشيوخ، فاستوعب الكثير من العلوم، وبرع فنون. وقد جلس عند ابن رشد –رحمه الله– واستفاد منه، وناوله بعض كتبه، وأجاز له ها[43]. وكان "إمام وقته في الحديث وعلومه، عالماً بالتفسير وجميع علومه، فقيهاً أصولي لماً بالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم، بصيراً بالأحكام عاقداً للشروط، حا لمذهب مالك – رحمه الله تعالى –، شاعراً مجيداً، ريانا من الأدب، خطيباً بليغاً.."[44]، وولي القضاء في عدّة مناطق. وتوفي -رحمه الله- توفي سنة (544هـ).

◈ **مؤلّفاته**:

لقد كان للتأليف نصيبٌ كبير من حياة الإمام ابن رشد –رحمه الله–، ومثّل جانبا مهمّ العلمي – كما عرفنا –. والمطالع للمصادر التي عنيت بترجمته، يُصا الصدد عبارات مثل: "المعترف له بصحة النظر وجودة التأليف"، "كثير التصنيف مطبوعه"، "وكان مطبوعاً في هذا الباب، حسن القلم والرواية" [45]، "صاحب التصانيف"[46]، "له تصانيف مشهورة"[47]، "كثير التصانيف مقبولها"[48]، "وله أجزاء كثيرة في فنون مختلفة"[49]....

وواضح أنّ هذه العبارات – على إيجازها – تلخّص قيمة التراث العلمي لهذا الجليل، وتعبّر عن جودة تصانيفه، وكثرة تآليفه. ولكنّنا – مع الأسف – لانعرف إلاّ القليل منها، كما أنّه لم يُطبع ممّا عُرِف حتّى الآن إلاّ الأقلّ. ودونك أبرز هذه المصنّفات

1- "المقدّمات الممهّدات"[50]:

وهو كتاب جامع لمجمل أبواب الفقه، قصد به صاحبه - بالدرجة الأولى - إلى شرح مذهب الإمام مالك - رحمه الله تعالى -، ويمكن أن يُدرَج في نطاق التعليقات والتقييدات على المدوّنة، ويُعتَبر سلّما إليها وعونا عليها.

وقد طبع قسم منه، لأوّل مرّة على هامش المدوّنة، سنة (1324هـ/1904م) بالمطبعة الخيرية بمصر. ثمّ طبع بعدها - مستقلا - عدّة طبعات، غير أنّ هذه الطبعات كانت ناقصة، وفيها سقط وتصحيف كثير جدًا[51].كما طبعت دار الفرقان بالأردن سنة(1405هـ/1985م)، القسم الأخير من "المقدمات" - المتمثّل في "كتاب الجامع" - مستقلاّ، بتحقيق الأستاذ المختار بن الطاهر التليلي -رحمه الله- [52].

وبعدها بثلاث سنوات، أي: في سنة(1408هـ/1988م) طبعت دار الغرب الإسلامي في بيروت، كتاب "المقدمات الممهدات" -بحمد الله- تاماً محقّقاً بقدر الإمكان[53]، بعناية الأستاذ محمد حجّي -جزاه الله خيراً-.

2- "البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة"[54]:

وهذا الكتاب هو شرح حافل لمسائل"المستخرجة" للإمام محمّد العتبي[55] -رحمه الله-، يشتمل على عملية نقدية للروايات والسماعات التي اشتملت عليها، ومقارنتها بغيرها وتمييز صحيحها من سقيمها[56].

وقد عمد الأستاذ محمد حجّي إلى تحقيقه، بمساعدة جماعة من الأساتذة والعلماء الأفاضل، وطبع لأوّل مرّة سنة (1404هـ/1984م)، ثمّ توالت الطبعات بعد ذلك.

3- "فتاوى ابن رشد"[57]:

لم يجمع الإمام ابن رشد كتاب الفتاوى بنفسه، وإنّما هو في الأصل عبارة عن أجوبة متفرّقة عن الأسئلة التي كانت ترد عليه، اعتنى بعض تلاميذه بجمعها وقراءتها عليه، وروايتها عنه.

وقد عكف الأستاذ المختار التليلي -رحمه الله- على تحقيق النسخ المخطوطة لتلك الفتاوى المجموعة، وألحق بها فتاوى أخرى متفرّقة وأحالها إلى مظانّها، ثم انكبّ على تحقيقها وأحكم تنظيمها وترتيبها. وأخرجها في حلّة بهيّة تحت عنوان "فتاوى ابن رشد"(58)، وأوّل طبعة لها كانت سنة (1407هـ/1987م) من قِبَل دار الغرب الإسلامي في بيروت، لتتوالى الطبعات بعد ذلك.

4- "اختصار مشكل الآثار" للطحاوي[59]: [60]

وقد ذكر الأستاذ محمد زهري النجّار، أنّ مخطوط هذا الاختصار موجود بدار الكتب المصرية، ونبّه على ذلك بما نصّه[61]: (وقد اختصر أبو الوليد ابن رشد الجدّ كتاب: مشكل الآثار مع بعض الاعتراضات منه عليه، واختصاره محفوظ بدار الكتب المصرية).

5- 6- كتاب "حجب المواريث" و"مختصر الحجب على مذهب مالك بن أنس -رحمه الله- ممّا روي عن زيد بن ثابت -رضي الله عنه- "[62]:

فقد جاء في فهرسة ابن خير[63]-رحمه الله-[64]:(..كتاب فيه حجب المواريث، لأبي الوليد ابن رشد -رحمه الله- وجزء فيه مختصر الحجب، على مذهب مالك بن أنس -رحمه الله- ممّا

روي عن زيد بن ثابت -رضي الله عنه- من تأليفه أيضا. حدّثني بهما غير واحد من أصحابه...).

7- **كتاب "الرد على المرادي[65]"**: [66]

وقد أحال عليه ابن رشد في "المقدمات"[67] - في معرض ذكر مسألة النية في الوضوء والغسل، هل من شرطها أن تكون مقارنة لأول الفعل أم لا؟ -، فقال[68]: (... وقد أشبعنا الكلام في هذا في كتاب ردّنا على المرادي، فمن أراد الوقوف على ذلك فليتأمّله هناك).

وليست هذه قائمة نهائية، بل للإمام كتب أخرى جليلة غيرها.

◈ **صفاته ومواقفه**:

كان الإمام أبو الوليد -كما وصفه من ترجم له- رجلاً متين الدين، فاضلاً وقوراً حليماً، حسن السمت، سهل اللقاء، شديد الحياء، قليل الكلام، نزيهاً متواضعاً، كثير النفع للناس، بارًّا بأصحابه وتلامذته، جميل العشرة لهم، يسعى لإفادتهم، ويَبذُل وسعه في إنفاذ حوائجهم[69].

وأمّا فيما يخصّ إقدام هذا الإمام الهُمَام وثباته في الشدائد، فيعكس ذلك كلّه المواقف التي وقفها وسط الفتن، وفي خِضَمّ الإضطرابات التي عصفت ببلده، فلم يكن -رحمه الله- يلتزم الحياد السلبي من مجريات الأمور، أويعيش بمعزل عن الأحداث التي تدور في وطنه.

من ذلك ريح الفتنة التي هبّت في قرطبة بين سنتي (514هـ) و(515هـ)، وثورة العامة بها ضدّ المرابطين، فبمراجعة كلام المؤرّخين حول هذه الفتنة، يبدو بكلّ وضوح أنّ الإمام -رحمه الله- قد أظهر قدرةً عالية في السيطرة على الأحداث، وأبدى حنكة وحزماً

متناهيين، وقام بالتعاون مع وجوه قرطبة وأعيانها بتهدئة الناس، ولعب دوراً بارزاً ونشيطاً في المساعي الصلحية، فتمّت معالجة الموقف[70].

وفي أواخر سنة (519هـ)، تواطأ النصارى مع بني جلدتهم من المعاهدين المقيمين بين أظهر المسلمين، واكتسحوا الكثير من المدن والقرى المسلمة بحملة مباغتة، وأكثروا القتل والسبي والنهب، ولم تنته هذه المحنة إلاّ في أواخر شهر صفر عام (520هـ)[71]. فلمّا انجلى الخطر، تجشّم الإمام ابن رشد -رحمه الله- عناء السّفر إلى مرّاكش[72] -رغم كِبَر سنّه-، وبحث مع الأمير علي بن يوسف بن تاشفين الأوضاع في الأندلس، وطلب منه تنحية أخيه الأمير تميم بن يوسف من النيابة في الأندلس لتقاعسه وعدم أخذه الاحتياطات اللازمة للدفاع عن البلد حتى بغتهم النصارى، وبيّن له ضرورة تسوير البلدات المكشوفة بالأندلس، وترميم القلاع وزيادة تحصينها، كما أشار عليه بتسوير حاضرة مراكش -عاصمة الدولة المركزية-، وقد أخذ الأمير يوسف بقوله وأنفذ له جميع مطالبه[73].

وهذا كلّه إنّما يُنبِيء عن ضمير حيّ يَصدَع بالحقّ، ويسعى في الإصلاح، ويُعبّر تعبيراً صادقاً عن قلب مستنير بالإيمان يَهتمّ بأمر المسلمين، فيفرح لأفراحهم، ويغتمّ لأقراحهم.

◈ مكانته العلمية:

إنّ الناظر فيما هو مطبوع من كتب الإمام أبي الوليد بن رشد، والمطالع فيما أورَدَته عنه كتب التراجم، وما حلاّه به تلاميذه والعلماء من بعده من نُعُوتٍ وأوصاف، يُمكِنه أن يَخرج بِتصوُّر واضح عن مكانته العلمية، وتأثيره الإيجابي في مجال الدراسات الشرعية. ويُدرِك دون ريب أنّ الرجل لم يكن من فقهاء المالكيّة العاديين، بل كان من المجتهدين في مذهب الإمام مالك -رحمه الله-، والقائمين على أصوله والمفتين على قواعده.

وهو أحد الذين كانت لهم يدٌ بيضاء على الفقه الإسلامي عموما، والمذهب المالكي خصوصا، حيث كان يسعى إلى جعله اختياراً علمياً، مدعوماً بالأدلّة والحجج والبراهين، وبناء الفروع على الأصول، ومؤلّفاته تعكس بوضوح جهده البارز، ودوره الفعّال في تجديد الفقه المالكي في بداية القرن السادس، وجمع شتاته، وإثراءه بالأدلّة، وإزالة ما علِق به من غبار، بأسلوب يُمتع المطالع، ويُشبع الطالِب، ويُقنع الباحث. سواء من حيث الوضوح وجلاء الألفاظ، وقدرته على التفهيم، أو من جهة الإبداع في الترتيب والتقسيم. وقد عبّر عن ذلك العلاّمة الضبّي[74] أحسن تعبير حين قال فيه[75]: (... وكان أوحد زمانه في طريقة الفقه..).

وقد تعدّدت الجوانب العملية عند هذه الشخصية الفذّة، - كما لَمَسته بنفسي خلال مطالعتي لبعض كتبِه. ولم يزل إكباري له يزداد، كلّما قطعت شوطا في كتاب، لِمَا عاينته من استحضاره للنصوص القرآنية، واطّلاعه الواسع على السنن النبوية، والآثار المروية. ناهيك عن درايته بالتفسير، وإبداعه في الجمع بين مختلف الحديث، والتوفيق بين الروايات. أضف إلى ذلك تمكّنه وتمرّسه الجليّ في علم الأصول، وقوّته في اللّغة العربية وإحاطته بأساليبها، وإلمامه بالسيرة النبوية... دون أن أنسى إلى جانب هذا كلّه، تبحّره في الفقه -الذي يُعدّ ميدان تخصّصِه-، وحفظُه واستيعابُه للمسائل والأقوال داخل المذهب وخارجَه، ومعرفته بمواطن الإجماع وأماكن الخلاف، والأسباب الموجبة لَه.

فليس غريبا حينئذٍ أن ينال ما ناله من الحظوة والشهرة في زمانه، ويُسند إليه قضاء قرطبة، وإمامة جامعها الكبير. وليس عجيبا أن يُقبل عليه الطلاّب ويتوافدوا إليه من شتّى البلاد. وتتّجه إليه الأنظار، وتصل إليه الأسئلة من مختلف الأقطار. ومن راجع كتاب الفتاوى واطّلع على الرسائل التي كانت تبعث إليه، ونظر في الأسئلة التي كانت ترد عليه، لاح له قدر هذا الإمام ومنزلته -في وقته-، ومدى وثوق الناس بعلمه من مختلف فئات المجتمع. وقد مزج

-رحمه الله تعالى- ما اغترفه من العلم الواسع، بالفهم العميق للواقع، وكان -بناءً على ذلك- يجيب الناس عن تساؤلاتهم، ويبدّد استشكالاتهم، ويبيّن لهم المذهب الراجح، والقول المعتمد.

وما من شكّ أنّ هذه الصفات العلمية، هي التي أهّلته ليحظى أيضا بالثناء والتقدير في محافل العلماء ومجامع الفقهاء، ويسجّلوا ذلك في كتبهم، ويسطروه بأقلامهم.

فهذا تلميذه أبو القاسم بن بشكوال -رحمه الله- يقول فيه[76]: (..وكان فقيهاً، عالماً حافظ للفقه، مقدماً فيه على جميع أهل عصره، عارفاً بالفتوى على مذهب مالك وأصحابه، بصيراً بأقوالهم واتّفاقهم واختلافهم، نافذاً في علم الفرائض والأصول، من أهل الرياسة في العلم والبراعة والفهم..).

ووسمه تلميذه القاضي عياض -رحمه الله- قائلا[77]: (.. زعيم فقهاء وقته بأقطار الأندلس والمغرب ومقدّمهم، المعترف له بصحة النظر، وجودة التأليف، ودقة الفقه، وكان إليه المفزع في المشكلات، بصيراً بالأصول والفروع والفرائض والتفنّن في العلوم..).

وقال الإمام الذهبي[78] -رحمه الله- [79]: (...كان من أوعية العلم، له تصانيف مشهورة...).

وإذا كانت هذه مواقف بعض المتقدمين فإنّنا نصادف أقوالاً قريبةً منها عند المعاصرين:

فها هو الدكتور المختار التليلي -رحمه الله-، يقول[80]: (..ومن الواضح أنّ ابن رشد يمثّل بحقّ إحدى حلقات السلسلة في شيوخ الأندلس، والمقدّمين في فقه مالك، الذين انتهت إليهم الرحلة، وآلت إليهم الفتوى، وكانوا بارزين في الشورى..).

ووصفه الدكتور محمد حجي -رحمه الله- بأنّه[81]: (..كان أستاذاً بطبعه، يحبّ التدريس، ويحسن طرق التبليغ، تُسعِفه مادة غزيرة، وتفكيرٌ منظّم، وعبارة منطلقة،...).

وأمام كلّ هذه الإشادات بعلمه، والشهادات بسبقه، نفهم سبب اعتماد فقهاء المالكية لكتبه، وتقديمه على غيره، ونستوعب وجه كونه أحد الأربعة الذين عوّل عليهم الشيخ خليل -رحمه الله- [82] في مختصره.

◈ **مرضه ووفاته**:

عانى الإمام ابن رشد الجدّ -في آخر حياته- من مرض ألزمه الفراش، وأقعده عن الدروس، استمرّ به قرابة أربعة أشهر[83]. وتوفي -بعد عمر حافل بالعلم والعمل- في ليلة الأحد الحادي عشر من ذي القعدة سنة (520هـ) الموافق لـ: (1126م) -وعمره سبعون سنة- [84].

وقد صلّى عليه ولده أبو القاسم عشيّة يوم الأحد -بعد صلاة العصر- بجامع قرطبة، ودفن بمقبرة العباس، وحضر جنازته خلق كثير، وكان يوماً حافلا مشهودا، والحزن من فراقه شديداً، وتبارى الأدباء في تأبينه، وتسابق الشعراء في رثائه[85].

وهذا منتهى الكلام، راجيا قبل الختام، أن أكون قد أسعفت حاجة القرّاء الكرام، في التعرّف على الإمام ابن رشد وتسليط الضوء على مكانته العلمية، والحمد لله أولا وآخرا.

الهوامش:

(1) ينظر: القاضي عياض: الغنية ص (54) [تح: ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1: 1402- 1982]، ابن بشكوال: الصلة (839/3) [تح: إبراهيم الأبياري، ضمن الكتبة الأندلسية، دار الكتاب المصري- القاهرة ودار الكتاب اللبناني- بيروت،ط1: 1410- 1989]، الذهبي: سير أعلام النبلاء (501/19) [تح: مجموعة من باحثين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط9: 1413- 1993]، وتاريخ الإسلام له (443/35) [تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي- بيروت، ط1: 1414- 1994]، وتذكرة الحفاظ له (46/4) [تح: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط1: 1419- 1998]، النبهاني: تاريخ قضاة الأندلس ص(98- 99) [تح: لجنة من الباحثين، دار الآفاق الجديدة، ط5: 1403- 1983]، الحطاب: مواهب الجليل (120/1) [تح: زكريا

عميرات دار عالم الكتب . الرياض، طبعة خاصة 1423- 2003]؛ الحجوي: الفكر السامي (54/4) [ابتديء طبعه بإدارة دار المعارف بالرباط 1340، وكمّل بمطبعة البلدية بفاس 1345/ د.ط]؛ الزركلي: الأعلام (316/5) [دار العلم للملايين، ط15: 1423- 2002]، كحالة: معجم المؤلفين (228/8) [دار إحياء التراث العربي- بيروت/د.ت.ط].

وهو في الديباج المذهب لابن فرحون ص(373) [تح: مأمون الجنّان، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1: 1417- 1996] كالآتي: "محمد بن أحمد بن محمد" وهذا إن لم يكن خطأ مطبعيا تسرّب إلى الكتاب، فهو وهم من العلاّمة ابن فرحون- رحمه الله- لأنّ تلامذة الإمام ابن رشد- أعني: القاضي عياض وابن بشكوال- قد أثبتا اسم "أحمد" في العمود النسبي للإمام. وهما أقرب الناس إليه وأعرفهم به. ويمكنك أن تراجع لمزيد من الفائدة ماحرّره الأستاذ المختار التليلي- رحمه الله- في مؤلّفه "ابن رشد وكتابه المقدمات" ص(85) وص (137) [الدار العربية للكتاب- طرابلس 1988/د.ط].

وأمّا نسبه من جهة أمّه، فلم يتطرّق المترجمون لابن رشد إليه، في حدود ما اطّلعت عليه.

(2) ينظر: القاضي عياض: الغنية ص(54)؛ ابن بشكوال: الصلة (839/3)؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء (501/19)، وتاريخ الإسلام له (443/35)، وتذكرة الحفاظ له (46/4)؛ النباهني: تاريخ قضاة الأندلس ص (98- 99)؛ ابن فرحون: الديباج المذهب ص(373)؛ الحطاب: مواهب الجليل (120/1)؛ الحجوي: الفكر السامي (54/4)؛ الزركلي: الأعلام (316/5)، كحالة: معجم المؤلفين (228/8)؛ التليلي: ابن رشد وكتابه المقدمات ص (137).

(3) هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن الإمام أبي الوليد بن رشد القرطبي، ويسمّيه الأوربيون (Averroes). ولد قبل موت جدّه بشهر، سنة (520هـ) ونشأ في بيت علم ودين، وبرع في مختلف العلوم والفنون من فقه وطبّ وفلسفة وغيرها. وولي قضاء قرطبة، فحُمِدت سيرته. وقد حصلت له محنة، ونُجِر لأجل اشتغاله بالفلسفة. ثمّ عفي عنه وزالت عنه تلك الوحشة، ولكنّه لم يلبث أن توفّي بعدها بأشهر سنة (595هـ). وله من المصنفات الشيء الكثير منها: "بداية المجتهد" في الفقه، و" الضروري في أصول الفقه" وهو اختصار لـ"المستصفى" و"الكليات" في الطب، ... وغيرها. ينظر: ابن الأبار: التكملة (73/2- 74) [تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر- بيروت. 1415- 1995 / د.ط]؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء (308/21- 309)؛ ابن فرحون: الديباج المذهب ص (378- 379)؛ الحجوي: الفكر السامي (63/4)؛ الزركلي: الأعلام (318/5). وقد ترجم له غير واحد، وألّف الكثير من الباحثين المعاصرين في سيرته، وأقيمت مؤتمرات عديدة حول شخصيّته.

(4) ينظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى (164/4) و(518/6) و (260/13) و (157/19) [جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم بمساعدة ابنه أحمد، مكتبة المعارف، الرباط/د.ت.ط]؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء (308/21 و326 و139)، وتاريخ الإسلام (444/35)؛ الصفدي: الوافي بالوفيات (81/2) [تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث- بيروت،ط1: 1420- 2000]؛ ابن فرحون: الديباج المذهب ص (111)؛ المقري: نفح الطيب (192/3) [تح: إحسان عباس، دار صادر- بيروت، ط1: 1388- 1968]؛ التليلي: ابن رشد وكتابه المقدمات ص(145).

(5) ابن خير: فهرسة ابن خير (591/2) [تح: إبراهيم الأبياري، ضمن الكتبة الأندلسية، دار الكتاب المصري- القاهرة ودار الكتاب اللبناني- بيروت،ط1: 1410- 1989].

(6) ينظر: ابن بشكوال: الصلة (840/3)؛ النبهاني: تاريخ قضاة الأندلس ص(99)؛ الحطاب: مواهب الجليل (120/1)، ابن العماد: شذرات الذهب (62/4) [دار الكتب العلمية- بيروت/ د.ت.ط]؛ الحموي: الفكر السامي (54/4)؛ الزركلي: الأعلام (316/5)؛ كحالة: معجم المؤلفين (228/8)؛ التليلي: ابن رشد وكتابه المقدمات ص(141- 142)؛ ابن رشد: البيان والتحصيل، مقدمة المحقق محمد حجي (13/1) [دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط2: 1408- 1988].

(7) ستأتي ترجمته- إن شاء الله- عند ذكر تلاميذ الإمام ابن رشد.

(8) ينظر: ابن بشكوال: الصلة (840/3)؛ وعنه: النبهاني: تاريخ قضاة الأندلس ص(99).

(9) قرطبة (CORDOBA):- بضم القاف وسكون الراء وضم الطاء وفتح الباء- . مدينة عريقة تقع في وسط الأندلس على نهر الوادي الكبير، على بعد 138 كم شمالي شرق صقلية، وكانت عاصمة الخلافة الأموية في العهد الإسلامي، ومركزا هاما جدا للثقافة والتجارة والسياسة في التاريخ الأندلسي، ومنها وصلت علوم الإسلام إلى أوروبا، لأنّها كانت منارة الفكر خلال العصور الوسطى الأوروبية؛ وإليها يُنسب عدد كبير من العلماء في مختلف الفنون. وقد سقطت في أيدي النصارى سنة (633 هـ)، وهي اليوم لا تعدّ من المدن الإسبانية الكبيرة، ولم يبق بها الكثير من معالمها الإسلامية القديمة إذا استثنينا جامع قرطبة الشهير، الذي حُوِّل إلى كنيسة، وبعض الدروب المحيطة به. ينظر: الحموي: معجم البلدان (324/4) [دار الفكر- بيروت/د.ت.ط]؛ الحميري: الروض المعطار ص (456- 459) [تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة- بيروت، ط2: 1980]؛ عنان: الآثار الأندلسية ص(18- 34) [مكتبة الخانجي- القاهرة، ط2: 1417- 1997]؛ الموسوعة العربية العالمية: مادة (قرطبة) [مرجع رقمي. مجموعة من العلماء والباحثين، موقع الموسوعة العربية العالمية (www.mawsoah.net)، الإصدار1: 1425- 2004].

(10) ينظر: ابن خلدون: المقدمة ص(461) [دار الكتب العلمية- بيروت /د.ت.ط].

(11) أهل الأندلس لم يكونوا يقتصرون في تعليمهم للولدان، على حفظ القرآن لوحده، بل يخلطون معه رواية الشعر- في الغالب-، وأخذهم بقواعد العربية وتجويد الخط والكتابة. ينظر: ابن خلدون: المقدمة ص (462).

(12) ستأتي ترجمته قريبا- إن شاء الله- عند ذكر شيوخ الإمام ابن رشد.

(13) ستأتي ترجمته قريبا- بإذن الله- مع بقية شيوخ ابن رشد.

(14) المريّة (ALMERIA):- بفتح الميم وكسر الراء وتشديد الياء- . مدينة أندلسية تقع في أقصى جنوبي الأندلس، على البحر المتوسط، عند مدخل جبل طارق، بناها المسلمون سنة (344هـ)، بأمر من الخليفة الأموي الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد، وكانت من أشهر مراسي الأندلس وأعمرها، ومن أجلّ أمصارها وأشهرها، وأنجبت الكثير من العلماء والأدباء. وقد سقطت في أيدي النصارى سنة (895هـ) وهي اليوم تابعة لإسبانيا، وما تزال تحتفظ بعدد من المعالم

الأثرية الإسلامية، ومن أبرزها: بقايا القصر والقلعة القديمة، المسمّاة بالقصبة (ALCAZABA)، التي اشتهرت في عهد ملوك الطوائف بضخامتها ومناعتها. ينظر: الحموي: معجم البلدان (119/5)؛ الحميري: الروض المعطار ص (537- 538)؛ عنان: الآثار الأندلسية ص (265- 266).

(15) عاش الإمـام في الحقبة الممتدّة من النصف الثاني من القرن الخامس، وأوائل القرن السادس للهجرة؛ وبالتحديد بين عامي (450- 520 هـ). وكانت الأندلس في مرحلة شبابه تعاني من ويلات الإضطراب والتفكّك السياسي، في عهد ما يُعرف- عند المؤرّخين- بـ: "عهد ملوك أو دويلات الطوائف"، وفي ظلّ ذلك الوضع المقلق، كان كلّ يوم يحمل مأساةً جديدة، وفاجعة كبيرة، إلى أن تدّخلت جيوش المرابطين بقيادة الأمير يوسف بن تاشفين، وكانت معركة الزلاقة الشهيرة سنة (479هـ)، ثمّ ما لبث أن أزاح ملوك الطوائف، ووحّد بلاد الأندلس والمغرب. ينظر: ابن الأثير، عز الدين: الكامل في التاريخ (107/8 و ما بعدها) [تح: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية- بيروت، 1415- 1995/د.ط]؛ المراكشي: المعجب ص(124و ما بعدها) [تح: محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤوون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي- الجمهورية العربية المتحدة/ د.ت.ط]؛ المقري: نفح الطيب (1/ 438وما بعدها).

(16) ينظر لمزيد من التفصيل: القاضي عياض: الغنية ص (55)؛ ابن بشكوال: الصلة (839/3)؛ النبهاني: تاريخ قضاة الأندلس ص (98)؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء (502/19)، تاريخ الإسلام له (443/35- 444)؛ ابن فرحون: الديباج المذهب ص(374)؛ مواهب الجليل (120/1)؛ الحجوي: الفكر السامي (54/4)؛ الزركلي: الأعلام (316/5- 317)؛ كحالة: معجم المؤلفين (228/8)؛ التليلي: ابن رشد وكتابه المقدمات ص (151 وما بعدها)؛ ابن رشد: البيان والتحصيل، مقدمة المحقق محمد حجي (13/1)، الصلابي: الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين ص (208) [مكتبة الصحابة- الإمارات ومكتبة التابعين- القاهرة، ط1: 1422- 2001].

(17) بدأت بوالده لأنه معلّمه الأول، ثم رتبت البقية في الذكر حسب تاريخ الوفاة.

(18) ينظر ترجمته في: ابن فرحون: الديباج المذهب (111/1)؛ التليلي: ابن رشد وكتابه المقدمات ص(84- 85) وص (149).

(19) ابن فرحون: الديباج المذهب (111/1).

(20) ينظر ترجمته في: ابن بشكوال: الصلة (114/1- 115)؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء (563/18)؛ ابن فرحون: الديباج المذهب ص (103)؛ التليلي: ابن رشد وكتابه المقدمات ص(151- 153).

(21) ابن بشكوال: الصلة/ م.أ (115/1).

(22) ينظر: ابن بشكوال: الصلة/ م.أ (839/3)، النبهاني: تاريخ قضاة الأندلس ص(98)، ابن فرحون: الديباج المذهب ص(374).

(23) ينظر على سبيل المثال: **ابن رشد: المقدمات** (165/1)، (113/1)، (165/1)، (37/2)، (54/2)، (101/2)، (195/2)، (458/2)، (534/2)، (12/3- 13) [تح: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي ط1: 1408- 1988].

(24) ينظر: ابن رشد: المقدمات(9/1- 10).

(25) يعرف: بابن الدلائي، نسبة إلى دلاية من قرى المرية، فبها ولد. ينظر لمزيد من التوسّع في ترجمته في: ابن بشكوال: الصلة (115/1- 117)، الحموي: معجم البلدان (460/2) و(119/5)، الذهبي: سير أعلام النبلاء (567/18- 568)، ابن العماد: شذرات الذهب (357/3- 358)، الزركلي: الأعلام (185/1)، التليلي: ابن رشد وكتابه المقدمات ص (153- 156).

(26) ابن بشكوال: الصلة (115/1- 117).

(27) الحموي: معجم البلدان(460/2).

(28) علما أنّ مرويات ابن الدلائي- رحمه الله- كثيرة- كما ذكر مترجموه-، وعلى رأسها: الصحيحين، وكتاب الطبقات للإمام مسلم، ودلائل النبوّة، .. وغيرها. ولا يُدرى إن كان أجازه بها كلّها أو بعضها. ينظر: ابن بشكوال: الصلة (839/3)؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء (501/19)، وتاريخ الإسلام له (444/35)؛ النبهاني: تاريخ قضاة الأندلس ص(98)؛ ابن فرحون: الديباج المذهب ص (374)؛ الزركلي: الأعلام (316/5- 317)؛ التليلي: ابن رشد وكتابه المقدمات ص (154- 1556).

(29) ينظر ترجمته في: القاضي عياض: ترتيب المدارك (357/2) [تح: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1: 1418- 1998]، ابن بشكوال: الصلة (530/2- 532)، الذهبي: سير أعلام النبلاء (133/19- 134)؛ ابن فرحون: الديباج المذهب ص (257)، التليلي: ابن رشد وكتابه المقدمات ص (158- 164)؛ الزركلي: الأعلام (159/4).

(30) علما أنّهم كانوا لا يقدّمون- في ذلك الزمن- أحداً للفتوى حتّى يطول اختباره، وتُعقد له مجالس المذاكرة؛ كما ذكر المقرّي- رحمه الله- . ينظر: نفح الطيب(214/3).

(31) ينظر: البيان والتحصيل(30/1)، الغنية ص (54)؛ ابن بشكوال: الصلة (840/3)؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء (502/19)؛ النبهاني: تاريخ قضاة الأندلس ص(99)؛ ابن فرحون: الديباج المذهب ص(374)؛ الحطاب: مواهب الجليل (120/1)؛ التليلي: ابن رشد وكتابه المقدمات ص (209- 210).

(32) ابن بشكوال: الصلة (840/3).

(33) ينظر: ابن رشد: البيان والتحصيل(30/1- 31).

(34) ينظر: ابن خير: فهرسة ابن خير (590/2- 591)، ابن بشكوال: الصلة (840/3)، ابن رشد: البيان والتحصيل، مقدمة المحقق محمد حجي (16/1- 18)، التليلي: ابن رشد وكتابه المقدمات ص (307).

(35) ينظر: القاضي عياض: الغنية ص (54)، ابن بشكوال: الصلة (840/3)، الذهبي: سير أعلام النبلاء (502/19)، النبهاني: تاريخ قضاة الأندلس ص(99)، ابن فرحون: الديباج المذهب ص(374)، ابن بيه: الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين ص (189- 190) [دار الأندلس الخضراء- جدة ودار ابن حزم- بيروت، ط1: 1421- 2000].

وقد تكلّمت عدّة مصادر تاريخية عن إيثار المرابطين للفقهاء والقضاة، واحترامهم لرأيهم، وأخذهم بمشورتهم، وأنّه كان لهم نفوذ واسع في المجتمع في ذلك العهد. ينظر على سبيل المثال: ابن الأثير، عز الدين: الكامل في التاريخ (99/9)، المراكشي: المعجب ص(235- 236)، ابن خلكان: وفيات الأعيان (125/7) [تح: إحسان عباس، دار صادر- بيروت، ط1: 1971]، ابن بيه: الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين ص(167 وما بعدها).

(36) بدأت بولده أحمد، ثمّ رتبت البقية حسب تواريخ الوفيات، على نسق ما فعلته مع شيوخ الإمام ابن رشد.

(37) ينظر ترجته في: ابن بشكوال: الصلة (139/1)، النبهاني: تاريخ قضاة الأندلس ص(103)، التليلي: ابن رشد وكتابه المقدمات ص (87- 99).

(38) ينظر: ترجمته في: ابن بشكوال: الصلة (534/2- 535)، ابن الأبار: المعجم ص (257- 259)، ابن فرحون: الديباج المذهب (257)، التليلي: ابن رشد وكتابه المقدمات ص(251).

(39) ابن بشكوال: الصلة (535/2).

(40) ينظر ترجمته في: ابن الأبار: التكملة (64/2- 65)، الذهبي: سير أعلام النبلاء (178/21- 179)، ابن الخطيب: الإحاطة (63/3- 64)، ابن فرحون: الديباج المذهب ص(394- 395)، التليلي: ابن رشد وكتابه المقدمات ص (263- 264).

(41) ابن الأبار: التكملة (65/2)، وعنه ابن فرحون: الديباج المذهب ص (394).

(42) ينظر ترجمته في: ابن بشكوال: الصلة (660/2- 661)، ابن خلكان: وفيات الأعيان (483/3- 485)، الذهبي: سير أعلام النبلاء (213/20- 218)، ابن فرحون: الديباج المذهب ص(270- 273)، الزركلي: الأعلام (99/5)، التليلي: ابن رشد وكتابه المقدمات ص(245- 248)... وغيرها، وقد خصّه الإمام المقري بترجمة موسّعة في كتابه "أزهار الرياض في أخبار عياض".

(43) ينظر: القاضي عياض: الغنية ص (55).

(44) ابن فرحون: الديباج المذهب ص (272)

(45) هذه العبارات أطلقها القاضي عياض في: الغنية ص(54)، ونحوها عند ابن فرحون في الديباج المذهب ص(373- 374).

(46) الذهبي: تذكرة الحفاظ (46/4).

(47) الذهبي: العبر (47/4)، ومثله عند ابن العماد في: شذرات الذهب (62/4).

(48) الحطاب: مواهب الجليل(120/1).

(49) الحطاب: مواهب الجليل (120/1).

(50) ينظر: القاضي عياض: الغنية ص (54)؛ ابن خير: فهرسة ابن خير (299/1)؛ ابن بشكوال: الصلة (840/3)؛ الضبي: بغية الملتمس (74/1)؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء (502/19)، وتاريخ الإسلام له (444/8)؛ النبهاني: تاريخ قضاة الأندلس ص (99)؛ ابن فرحون: الديباج المذهب ص(374)؛ الحطاب: مواهب الجليل (120/1)؛ البغدادي: هدية العارفين (85/2) [أعادت طبعه بالأوفست دار إحياء التراث العربي- بيروت عن طبعة وكالة المعارف الجليلة- إستانبول سنه 1951]؛ الزركلي: الأعلام (317/5)؛ كحالة: معجم المؤلفين (228/8)؛ التليلي: ابن رشد وكتابه المقدمات ص (309)؛ ابن رشد: البيان والتحصيل، مقدمة المحقق محمد حجي (15/1).

(51) ينظر: التليلي: ابن رشد وكتابه المقدمات ص (579 وما بعدها)؛ ابن رشد: المقدمات، مقدمة المحقق محمد حجّي(6/1).

(52) ينظر: ابن رشد: المقدمات، مقدمة المحقق محمد حجّي(6/1).

(53) هذه الطبعة أيضا لم تخل من بعض التصحيفات والأخطاء المطبعية الجليّة حسبما ظهر لي أثناء مطالعة الكتاب، كما أنّها تفتقر إلى جوانب في التحقيق لاتقلّ أهمّية عن الإخراج والتصحيح، ولكنّ المحقّق على كلّ حال، مشكور ومأجور- إن شاء الله تعالى- على سبقه، واستفراغ جهده في إخراج الكتاب- لأوّل مرّة- تامّا مصحّحا قدر المستطاع.

(54) ينظر: القاضي عياض: الغنية ص(54)، ابن خير: فهرسة ابن خير (299/1)، ابن بشكوال: الصلة (840/3)، الضبي: بغية الملتمس (74/1)؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء (502/19)، وتاريخ الإسلام له (444/8)؛ النبهاني: تاريخ قضاة الأندلس ص (99)؛ ابن فرحون: الديباج المذهب ص (374)؛ الحطاب: مواهب الجليل (120/1)؛ البغدادي: هدية العارفين (85/2)؛ الزركلي: الأعلام (317/5)؛ كحالة: معجم المؤلفين (228/8)؛ التليلي: ابن رشد وكتابه المقدمات ص (309 وما بعدها). علما أنّ تسمية الكتاب جاءت مختلفة في عدد من المصادر والمراجع، وما أثبتّه في الصلب هو الاسم الذي اختاره وصحّحه الأستاذ محمد حجّي في مقدمة تحقيق البيان والتحصيل(1/6- 7).

(55) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد العزيز العتبي (نسبة إلى عتبة بن أبي سفيان بن حرب، بالولاء، وقيل غير ذلك) الأندلسي القرطبي المالكي، فقيه حافظ للمسائل، عالم بالنوازل. كان ابن لبابة- رحمه الله- يقول: (لم يكن هنا [يعني بالأندلس] أحد يتكلم مع العتبي في الفقه، ولا كان بعده أحد يفهم فهمه إلاّ من تعلّم عنده). توفي سنة (255هـ)، وقيل سنة (254 هـ). له تصانيف، منها: " المستخرجة" في فقه الإمام مالك، وتسمّى أيضا"العتبية". وقد جمع في هذا الكتاب سماعات كثيرة من الإمام مالك وتلاميذه، إلاّ أنّه توسّع في ذلك، فأورد الروايات المطروحة والمسائل الغريبة الشاذة. ينظر: القاضي عياض: ترتيب المدارك (2/449- 450)، ابن فرحون: الديباج المذهب ص (336- 337)؛ المقري: نفح الطيب (2/215- 216)، الزركلي: الأعلام (307/5).

(56) **ينظر:** ابن رشد: البيان والتحصيل، مقدمة المحقّق محمد حجي(21/1).

(57) وتسمى أيضا النوازل، والمسائل، والأجوبة، وجوابات ابن رشد ... وغير ذلك. ينظر: ابن خير: فهرسة ابن خير (299/1)؛ ابن الأبار: التكملة (91/3)؛ الزركلي: الأعلام (317/5)؛ التليلي: ابن رشد وكتابه المقدمات ص (340

وما بعدها)؛ ابن رشد: البيان والتحصيل، مقدمة المحقق محمد حجي (18/1)؛ ابن رشد: الفتاوى، مقدمة المحقق المختار التيلي(35/1 وما بعدها). وقد أثبتّ العنوان الذي اختاره محقّق الكتاب الأستاذ مختار التليلي.

(58) وهو في الأصل أطروحة دكتوراه دولة في العلوم الإسلامية، نالت درجة مشرّف جدا.

(59) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي الحنفي: من كبار فقهاء الحنفية انتهت إليه رياسة المذهب بمصر. ولد في "طحا" من صعيد مصر وفي تحديد السنة اختلاف فقيل: سنة (229هـ) وقيل (238هـ) وقيل (239 هـ). وقد تفقّه أولا على مذهب الإمام الشافعي، ثمّ عدل إلى مذهب الحنفية، فناضل عنه، ووضع الكتب في بسطه، وتوفي بالقاهرة سنة (321 هـ). من تصانيفه: "مشكل الآثار" و"شرح معاني الآثار" في الحديث، و"اختلاف الفقهاء" وغيرها. ينظر: ابن قطلوبغا: تاج التراجم ص (100) [تح: محمد خير رمضان، دار القلم- دمشق، ط1: 1413- 1992]؛ القرشي: الجواهر المضية في طبقات الحنفية (271/1) [تح: عبد الفتاح محمد الحلو، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط2: 1413- 1992]؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان(71/1- 72)؛ الزركلي: الأعلام (206/1).

(60) ينظر: القاضي عياض: الغنية ص(54)؛ ابن خير: فهرسة ابن خير (299/1)؛ ابن بشكوال: الصلة (840/3)؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء (502/19)، وتاريخ الإسلام له (444/8)؛ النبهاني: تاريخ قضاة الأندلس ص (99)؛ ابن فرحون: الديباج المذهب ص(374)؛ الحطاب: مواهب الجليل (120/1)؛ البغدادي: هدية العارفين (85/2)؛ الزركلي: الأعلام (317/5)؛ كحالة: معجم المؤلفين (228/8)؛ ابن رشد: البيان والتحصيل، مقدمة المحقق محمد حجي(18/1)؛ التليلي: ابن رشد وكتابه المقدمات ص(338- 340).

(61) الطحاوي: شرح معاني الآثار، مقدمة المحقّق محمد زهري النجار (13/1) [دار الكتب العلمية- بيروت، ط3: 1416- 1996].

(62) ينظر: ابن خير: فهرسة ابن خير (333/1)؛ ابن رشد: البيان والتحصيل، مقدمة المحقق محمد حجي (19/1)؛ التليلي: ابن رشد وكتابه المقدمات ص (348).

(63) هو أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللّمتوني الإشبيلي المالكي. كان مقرئًا مجودًا، ومحدثًا حافظا، وأديبًا بارعا، ولغويًّا متقنًا، واسع المعرفة. ولد بإشبيلية سنة (502هـ)، ولازم شريح بن محمد وأتقن القراءات على يديه، وسمع منه ومن غيره من علماء الأندلس في وقته، حتى ساد أهل بلده. وتصدّر بإشبيلية للإقراء والإسماع، وولي الصلاة بجامع قرطبة الأعظم سنة (587هـ) وبقي بها إلى أن توفي سنة (575هـ). وله كتب في غاية الصحة والإتقان، بِيعت بأغلى الأثمان بعد موته، بقي منها "فهرسة ما رواه عن شيوخه".ينظر: ابن الأبار: التكملة (49/2- 50)؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ (107/4)؛ الزركلي: الأعلام (119/6).

(64) (333/1).

(65) هو أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي المعروف بالمراديّ. كان عالما بالفقه، وإماما في أصول الدين، وذا حظ وافر من الأدب وقرض الشعر. ويبدو أنّ أصله من بلاد المغرب، فقد ذكر مترجموه أنّه وفد من القرويين على الأندلس،

فدخل قرطبة في سنة (487 هـ)، وأخذ عنه أهلها، ولعّله أثار هناك بعض المسائل، أو أبدى بعض الآراء التي استدعت من الإمام ابن رشد الردّ عليها. وعلى العموم فإنّه لم يتّخذ قرطبة وطناً، ولم يصيّرها سكناً، بل رجع بعد مدّة وجيزة إلى المغرب، واستقرّ بمدينة "أزكد" بصحراء المغرب، وتولى القضاء بها، وهناك توفي سنة (489 هـ). ينظر: القاضي عياض: الغنية ص(190)؛ ابن بشكوال: الصلة (873/3- 874)؛ كحالة: معجم المؤلفين (188/9).

(66) ينظر: ابن رشد: المقدمات(75/1)؛ التليلي: ابن رشد وكتابه المقدمات ص(349).

(67) ينظر: ابن رشد: المقدمات (75/1).

(68) ينظر: ابن رشد: المقدمات (75/1).

(69) ينظر: القاضي عياض: الغنية ص (54)؛ ابن بشكوال: الصلة (840/3)؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء (502/19)، وتاريخ الإسلام له (444/35)؛ النبهاني: تاريخ قضاة الأندلس ص (99)؛ ابن فرحون: الديباج المذهب ص (374)؛ الحجوي: الفكر السامي (54/4)؛ الزركلي: الأعلام (316/5- 317)؛ كحالة: معجم المؤلفين (228/8)؛ التليلي: ابن رشد وكتابه المقدمات ص (234- 235)؛ ابن رشد: البيان والتحصيل، مقدمة المحقق محمد حجي (14/1)؛ ابن بيه: الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين ص (189)؛ الصلابي: الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين ص (208).

(70) وقد اختلفت الروايات في أسباب الفتنة وتفاصيلها. ينظر: القاضي عياض: الغنية ص (54)؛ ابن الأثير، عز الدين: الكامل في التاريخ (187/9- 188)؛ التليلي: ابن رشد وكتابه المقدمات ص (273- 279)؛ ابن بيه: الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين ص(190).

(71) ينظر تفاصيل هذه الحادثة في: ابن الأثير، عز الدين: الكامل في التاريخ (235/9)؛ ابن الأبار: المعجم ص (162) [تح: إبراهيم الأبياري، ضمن الكتبة الأندلسية، دار الكتاب المصري- القاهرة ودار الكتاب اللبناني- بيروت. ط1: 1410- 1989]؛ ابن الخطيب: الإحاطة (22/1- 25)؛ حسن علي: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس ص (366- 367) [مكتبة الخانجي- القاهرة، ط1: 1980].

(72) مراكش: مدينة مغربية تقع إلى الشمال من جبال الأطلس الكبير، في المنطقة المعتدلة، في جنوب غربي المملكة المغربية، وهي واحدة من العواصم القديمة بها، وثالثة كبريات المدن بعد الدار البيضاء والرباط. أسّسها السلطان يوسف بن تاشفين في عام (452هـ) وقيل عام (450هـ)، لتكون عاصمة لدولة المرابطين، وعاشت ازدهار كبيرا امتدّ إلى زمن الموحّدين، ولا تزال هذه المدينة تحتفظ بأسوارها العتيقة، والكثير من مبانيها الأثرية، ومن أبرزها جامع الكتبية الضخم. ينظر: العفيفي: موسوعة ألف مدينة إسلامية ص(451- 452) [أوراق شرقية للطباعة والنشر- بيروت، ط1: 1421- 2000]؛ حسن علي: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس ص(378 وما بعدها)؛ الموسوعة العربية العالمية: مادة (مراكش).

(73) ينظر: ابن خير: فهرسة ابن خير (590/2)؛ ابن الأثير، عز الدين: الكامل في التاريخ (235/9)؛ ابن الأبار: المعجم ص (162)؛ ابن الخطيب: الإحاطة (25/1) [تح: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1: 2003-1424]؛ ابن رشد: البيان والتحصيل، مقدمة المحقق محمد حجي(16/1- 17)؛ ابن بيه: الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين ص(169) وص(176)؛ حسن علي: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس ص (366- 367).

(74) هو أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي، يكنى أبا جعفر وأبا العباس، مؤرّخ نبيه، ولد في مدينة بلش (غربي مدينة لورقة). وأخذ بالأندلس عن الأكابر، ثمّ رحل إلى الحجّ فطوّف في البلاد، ولقي جماعة من أعيان الأعلام، وسمع منهم. وعاد إلى الأندلس فاستقرّ في مدينة مرسية وأمضى بقية عمره فيها. وكان حسن الخط، سريع الكتابة، صحيح النقل والضبط، فاحترف الوراقة، ونال منها مالا كبيرا، وكتب بخطّه كتبا كثيرة، وتوفي بمرسية سنة (599هـ). من تصانيفه: "بغية الملتمس في تاريخ الأندلس"و"مطلع الأنوار لصحيح الآثار" جمع فيه البخاري ومسلم. ينظر: ابن الأبار: التكملة (83/1- 84)؛ المقري: نفح الطيب (381/2)، الزركلي: الأعلام (268/1)، معجم المؤلفين (200/2).

(75) الضبي: بغية الملتمس (74/1).

(76) ابن بشكوال: الصلة (839/3).

(77) القاضي عياض: الغنية ص (54)، ونحوه عند ابن فرحون في "الديباج المذهب" ص(374).

(78) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، شمس الدين الذهبي التركماني الدمشقي الشافعي، محدّث حافظ ناقد، ومؤرّخ مدقّق، وعلاّمة محقّق. ولد بدمشق سنة (705هـ)، وأخذ بها وبمصر وغيرها عن خلق كثير، ثم عاد وأقام بمسقط رأسه، فسمع منه جمع غفير، ورحل إليه الطلاب من سائر البلاد، وأتته السؤالات من كل ناد. وقد توفي بدمشق سنة (748هـ)، تاركا مصنّفات كثيرة نافعة تقارب المائة، منها: "سير أعلام النبلاء"، "تاريخ الإسلام"، "ميزان الاعتدال في نقد الرجال". وغيرها. ينظر: الصفدي: الوافي بالوفيات (114/2- 118)؛ ابن السبكي: طبقات الشافعية الكبرى (100/9- 123)؛ ابن العماد: شذرات الذهب (153/6- 154)؛ الزركلي: الأعلام (326/5).

(79) الذهبي: العبر (47/4).

(80) التليلي: ابن رشد وكتابه المقدمات ص (413).

(81) ابن رشد: البيان والتحصيل، مقدمة المحقق محمد حجي(14/1).

(82) هو خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي المصري المالكي، صاحب المختصر المشهور، كان- رحمه الله- صدراً في فقهاء المالكية بمصر، من أهل التحقيق، مشاركاً في فنون من العربية والحديث والفرائض. ولد بمصر، ووتخرّج على يدي كبار شيوخها الفضلاء أمثال: المنوفي وابن الحاج. وولي الافتاء على مذهب مالك، وأقبل على نشر العلم فنفع الله به، وألّف له عدا المختصر"التوضيح" شرح به مختصر ابن الحاجب، و"المناسك"، و"شرح على المدونة" لم يكمل، وغيرها. وفي تاريخ وفاته اضطراب، والمرجّح أنّه توفي سنة (776هـ). ينظر: ابن فرحون: الديباج المذهب ص (186)؛ الحجوي: الفكر السامي (77/4- 79)؛ الزركلي: الأعلام (315/2).

(83) ينظر: ابن خير: فهرسة ابن خير (590/2- 591)؛ النبهاني: تاريخ قضاة الأندلس ص(99)؛ التليلي: ابن رشد وكتابه المقدمات ص (295- 296)؛ ابن رشد: البيان والتحصيل، مقدمة المحقق محمد حجي (18/1).

(84) ينظر: القاضي عياض: الغنية ص(54) و(55)؛ ابن خير: فهرسة ابن خير (591/2)؛ ابن بشكوال: الصلة (840/3)؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء (502/19)، وتاريخ الإسلام له (444/35)، وتذكرة الحفاظ له (46/4)؛ النبهاني: تاريخ قضاة الأندلس ص (99)؛ ابن فرحون: الديباج المذهب ص (374)؛ الحطاب: مواهب الجليل (120/1)؛ ابن العماد: شذرات الذهب (62/4)؛ الحجوي: الفكر السامي (54/4)؛ الزركلي: الأعلام (316/5- 317)؛ التليلي: ابن رشد وكتابه المقدمات ص(297).

(85) ينظر: ابن خير: فهرسة ابن خير (590/2- 591)؛ ابن بشكوال: الصلة (840/3)؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء (502/19)، وتاريخ الإسلام له (444/35)؛ النبهاني: تاريخ قضاة الأندلس ص(99)؛ الحطاب: مواهب الجليل (120/1)؛ ابن فرحون: الديباج المذهب ص(374)؛ التليلي: ابن رشد وكتابه المقدمات ص(301- 302).